خطب جمعة في:

فضل المسجد الأقصى

والطريق الصحيح لنصرته

خطب جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

خطب جمعة في:

فضل المسجد الأقصى

والطريق الصحيح لنصرته

خطب جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: فضل المسجد الأقصى والطريق الصحيح لنصرته
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

من فضائل المسجد الأقصى

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، يقول الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ [سورة القصص:٦٨]، فالله سبحانه وتعالىٰ يخبرنا في هذه الآيات أنه يخلق ما يشاء من الأزمنة والأمكنة وسائر المخلوقات، ويختار سبحانه وتعالىٰ من

خلْقِه الذي خلَقَه ما يشاء، فاختار من بني آدم الأنبياء والرسل وفضَّلهم علىٰ الناس، ثم اختار أصحاب الرسل وفضَّلهم علىٰ من سواهم، واختار من الأزمنة ما شاء ففضل شهر رمضان وليلة القدر ويوم النحر ويوم عرفة وغيرها من الأيام علىٰ ما سواها، وخلق الله تعالىٰ بلدانا وأمكنة وفضَّل منها ما شاء، ففضَّل المسجد الحرام وجعله خير بقعة في الأرض، وفضَّل مدينة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ التي هاجر إليها، وفضَّل كثيراً من البلاد علىٰ ما سواها، ومما فضَّل الله من البلدان بلادُ الشام، ووصفها الله تعالىٰ في أكثر من موضع من القرآن بالأرض المباركة، وكان مما فضَّله الله منها علىٰ وجه الخصوص: **بيتُ المقدس** وما فيه من المسجد الذي فضَّله الله تعالىٰ علىٰ كثير من بقاع الأرض، ووصفه الله تعالىٰ في كتابه بأنه بارك حوله، ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [سورة الإسراء:١]، وسُمِّي بالمسجد الأقصىٰ لبُعده عن المسجد الحرام والمسجد النبوي، فالأقصىٰ هو البعيد والأدنىٰ هو القريب، فسمي بالمسجد الأقصىٰ لكونه بعيداً عن المساجد التي تُزار، ثم أخبر الله تعالىٰ أنه بارك حوله فجعل ما حوله مباركًا.

هذا البلد المبارك الذي هو موضع ألمٍ للمسلمين -ليس في هذا الزمن- بل من أزمنة متقدمة، فتارةً يَسْتَرِدُّه المسلمون وتارة يكون مع الكافرين، وما ذاك إلا لما له من الفضل فنجد الكفار ينافسون فيه ويريدون أن يتشرفوا به -ولا شرَف لهم-، ففُتِح في زمن الفاروق عمر رضي الله عنه، ثم أُخذ من أيدي المسلمين، ثم فتح بعد ذلك في زمن بعض الدول الإسلامية علىٰ يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، ثم ذهب منهم

وهكذا، وما ذاك إلا لما له من الفضل العظيم فهو مكان مُعظَّم، عظَّمه الله في القرآن وعظَّمه نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في سنته.

فهو مسرىٰ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أُسري به إليه واجتمع فيه بالأنبياء ليلة الإسراء وصلىٰ بهم إماما في ذلك المسجد ورأىٰ من رأىٰ فيه من ملائكة الله.

وهو أول القبلتين، فهو قبلة المسلمين الأولىٰ صلىٰ إليه الأنبياء، وصلىٰ إليه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والمؤمنون ستة عشر أو سبعة عشر شهراً كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في الصحيحين[(١)] أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صلىٰ أول ما هاجر إلىٰ المدينة إلىٰ بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس، وكان يطمع أن يتحول إلىٰ البيت الحرام، فأنزل الله تعالىٰ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾ [سورة البقرة:١٤٤].

وهو ثاني مسجد وضع علىٰ الأرض، جاء في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ**». قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً**»[(٢)]. فإذاً ثاني مسجد بُني علىٰ وجه هذه الأرض كلها هو المسجد الأقصىٰ.

---

(١) البخاري(٤٠)، ومسلم(٥٢٥ -١١-).

(٢) البخاري(٣٣٦٦)، ومسلم(٥٢٠ -١-).

وهو أحد المساجد التي تُشَد إليها الرِّحَال، ومعنىٰ شَدِّ الرحال أي السفر قصداً وعمداً تعبُّداً لله بقصد بُقعةٍ معيَّنة، فلا يجوز للإنسان أن يسافر قصداً وعمداً تعبداً بذلك السفر إلىٰ أيِّ موضع في الدنيا إلا إلىٰ ثلاثة مواضع، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا** -أي مسجد الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المدينة النبوية-، **وَمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**»[(١)].

وهذه فضيلة لها أنها تُقصَد بسفر المسلمين إليها من نواحي العالم دون غيرها من البقاع.

وقد وردت أحاديث في فضل الصلاة فيه ومضاعفتها إلىٰ أضعاف كثيرة، بل جاء عند أحمد(٦٦٤٤) والنسائي(٦٩٣) وابن ماجه (١٤٠٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **لَمَّا بَنَىٰ بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً: سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». أي طاهراً من الذنوب.

إذاً فهو مكان معظَّم عند المسلمين ومقدَّس دلَّت الأدلة علىٰ تقديسه، والآن يُدنِّسُه اليهود، فطالته أيديهم ووطأته أرجلهم ومُنِع منه المسلمون في كثير من الأحوال، فلذا

---

(١) البخاري(١٩٩٥)، ومسلم(١٣٩٧ -٥١١-).

حصل للمسلمين ألمٌ عظيم وحسرةٌ كبيرة بذهاب هذا الفضل من أيديهم، ولم يقتصر الأمر علىٰ ذلك، بل صار مكانا لعبادة اليهود أظهروا فيه شعائرهم ومارسوا فيه عباداتهم، بل قتلوا أبناءه من المسلمين قتلاً ذريعًا في كثير من الأحوال والأزمان، ومن ذلك ما يحصل ونسمعه في أيامنا هذه من قتلٍ للمسلمين، وتشريدٍ لهم، وحصارٍ مُطبقٍ عليهم، وقصفٍ لرجالهم ونسائهم وأطفالهم وكبارهم وصغارهم، في مواقف لم تحصل من قبل، بأن يُقتَل الألف مسلم ونحو هذا العدد في لحظة واحدة، فهذا والله إنه أمر عظيم لم يقع في تاريخ المسلمين إلا قليلاً، في لحظة واحدة يُقضَىٰ علىٰ ألف مسلم أو أكثر، وكلُّ المسلمين يرون ذلك ويسمعونه ولكن كثير منهم لا يستطيع إنكاره.

أيها الناس، إن هذا أمر واقع ولا يَفِرُّ الإنسان من شيء واقع، ولكن الموفَّق من ينظر مخرجًا وحلًّا لهذا الشيء الواقع، وأما الشيء إذا وقع فإنه قد وقع ويصير غُصَّةً وألمًا في قلوب المسلمين، ولكن ما هو الحل لهذا الأمر العظيم؟ وماذا يستفيد المسلمون من مثل هذه الحوادث التي تقع؟ هل سيعتبرون ويتعظون؟ هل سيستفيدون من ذلك ويأخذون منه دروسا تنفعهم في دينهم ودنياهم؟ أم أنهم يرضون بمجرد الغضب والانفعال والقيل والقال، دون استفادة من هذا الواقع المرير، ودون عمل بالأسباب الشرعية التي ترفع عنهم هذا الذُّل والهوان.

أيها الناس إن علينا أن نتأمل في ذلك وأن نأخذ منه دروسا وعِبَرا، فمما يستفيده المسلمون من هذه الحوادث من العبرة:

أن يعلموا شدة عداوة الكُفَّار للمسلمين، أن يعرفوا العدو الحقيقي لهم، وأن يعرفوا كذب شعارات الكفار ودعاياتهم التي يرفعونها، فقد ملَؤوا الدنيا صُراخًا بحقوق

الإنسان، وحرية الإنسان، والأمن والاستقرار، وغزوا بلدان المسلمين ودخلوها بهذا المسمىٰ وتحت هذا الشعار، لتحقيق حرية الإنسان وحرية المرأة كما يزعمون، دخلت منظمات الكفر وأفسدت أحوال المسلمين وأخلاقهم، وكثيرٌ من المسلمين تابعهم وعمل معهم وشجَّعهم علىٰ ما هم فيه باسم حقوق الإنسان، فهؤلاء هم دعاة حقوق الإنسان، اعتدوا علىٰ الإنسان بكل معاني الاعتداء، فأين الانسانية؟ وأين الرحمة؟ -فضلاً عن مراعاة الدين-، تمالأت دول الكفر وشجِّع بعضهم بعضاً وأعطىٰ بعضهم بعضاً تصريحات لقتل المسلمين، فهل سينتفع المسلمون من ذلك؟ هل سيعلمون أن الكفار لا يريدون لهم الخير؟ هل سيستفيدون من هذه الواقعة بمعرفة أعدائهم؟ أم أن قلوبهم لا تزال معهم؟ مُعظِّمةً لهم ومقلِّدةً لهم ومتابِعةً لهم ومُصدِّقةً لشعاراتهم الكاذبة.

ومن العجب أن يأتي بعض المسلمين اليوم يخاطب مجلس الأمن ومجلس الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان، فأين عقلك يا مسكين؟ هؤلاء الذين تخاطبهم هم الذين يقتلون المسلمين اليوم، فكيف تخاطب من يقتلك؟ كيف تخاطب من يريد إبادتك؟ أما بقي عند المسلمين فهْمٌ يفهمون حقيقة عداوة الكافرين لهم؟ فقد أخبرنا الله بعداوتهم كثيراً في القرآن، والناس غافلون، فقال تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [سورة المائدة:٨٢]، فهم أشد الناس عداوة، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٠٥]، والله ما يريدون لكم خيراً، لو

استطاعوا حبس الهواء عنكم لحبسوه، فهم الأعداء الذين يجب علىٰ المسلم أن يعاديهم.

الأنبياء عادوا آباءهم حين علموا أنهم من الكافرين، إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول لأبيه وقومه: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [سورة الممتحنة:٤]، يقول لهم: إذا آمنتم زالت العداوة والبغضاء بيننا وبينكم، وأما ما دمتم علىٰ كفركم فظهرت وأُعلنت من اليوم العداوة بيننا وبينكم، فهم أعداء المسلمين.

أيضا مما يستفيد المسلمون من ذلك: أن يعرفوا كذب الشعارات التي يُطلقها إخوان اليهود في بلاد المسلمين من الرافضة، فكم هددوا؟ وكم توعدوا اليهود؟ فها قد جاء وقت الجِد إن كنتم صادقين، ولكن هيهات أن الرافضة يعادون اليهود، بل هم أقرب الناس إليهم عبر التاريخ، مع أنهم اليوم يمتلكون عشرات الآلاف من الصواريخ في لبنان وفي إيران وفي غيرها مما هو علىٰ حدود دولة اليهود أو قريب منهم، بينهم وبينهم مسافات يسيرة، فأين تلك الشعارات الكاذبة التي استعطفوا بها المسلمين؟ أين تلك الشعارات التي غَرُّوا بها كثيراً من المغفلين، حتىٰ صدَّقوهم أنهم يعادون اليهود وهم والله أنهم هم واليهود في طريق واحد لضرب المسلمين، قال شيخ الإسلام رحمه الله -بمعنىٰ كلام له-: (ومعاونتهم لليهود أمر شهير حتىٰ جعلهم الناس لهم كالحمير)، وما كان أهل العلم يسمون الرافضة فيما مضىٰ إلا بحمير اليهود، لأنهم يركبون عليهم في كل فتنة يريدون بها ضرب بلاد المسلمين.

أين تلك الشعارات أنهم سيضربون دولة اليهود ويفعلون ويفعلون؟ وعندهم قدرة، وهم متمكِّنون فإن حزب الروافض في لبنان يعلنون عن أكثر من مائة ألف صاروخ يمتلكونها، أين هي اليوم؟ إنما يكذبون بها علىٰ المسلمين.

فكما أن اليهود هو العدو في الدرجة الأولىٰ كذلك الرافضة هم العدو الذي يُعين اليهود، فهم الذين أضعفوا بلدان المسلمين وفرَّقوا جيوشهم، فبسببهم دُمِّرت جيوش المسلمين في اليمن وفي الشام وفي العراق التي كان يُرجىٰ فيها أن تدافع عن الإسلام، دمَّرها الرافضة ومزَّقوها، وهم في ذلك يمشون علىٰ خطوات أئمتهم كما مزَّق ابن العلقمي الرافضي جيش الدولة العباسية وأضعفه وقلَّل عدده، ثم زيَّن للتتار أن يدخلوا بلاد المسلمين وأنه لم يَعُد لهم جيوش تدافع عنهم، فدخلوها واقتادوا خليفة المسلمين أسيراً، خليفة الدولة العباسية التي ظلَّت حاكمةً لبلاد الإسلام أكثر من خمس مائة عام، يُقاد أسيراً بسبب خيانة الوزير الرافضي.

فالرافضة اليوم عملوا نفس هذا العمل، فأضعفوا المسلمين وأشعلوا الحروب في بلدانهم وفكَّكوا جيوشهم وأضعفوها لتَسهُل بلاد المسلمين علىٰ الكافرين، فهل سينتفع المسلمون من ذلك؟ هل سيستفيدون من هذه الحوادث وما يجري وما يقع في أيامنا هذه؟

نسأل الله تعالىٰ للجميع التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس، مما يستفيده المسلمون من هذه الحوادث: أن يُعِدُّوا العُدَّة لجهاد الكفار، كفىٰ توانيا، كفىٰ ضعفاً، فإن المسلمين علىٰ هذا الحال الذي هم فيه ضعفاء لا يقدرون علىٰ مواجهة دول الكفر، وكلُّ واحد يخاف علىٰ نفسه بسبب الضعف الحاصل، وهذا ما نبهنا الله تعالىٰ إليه في كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [سورة البقرة:١٩٥]، (أنفقوا في سبيل الله) ابذلوا الأموال للإعداد للجهاد في سبيل الله، (ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التَّهلُكة) والتهلكة في هذه الآية المراد بها تركُ الإعداد، تركُ الإعداد الروحي بالإيمان والعقيدة الصحيحة، وتركُ الإعداد المادي بالأسلحة وتدريب المقاتلين، هذه هي التهلكة؛ لأن المسلمين إذا لم يحصل منهم إعداد أتاهم الكفار وهم غير مُعِدِّين ولا مستعدين فأهلكوهم، فيكونون قد ألقوا بأنفسهم وبأيديهم إلىٰ التهلكة حين تركوا الجهاد في سبيل الله، وحين تركوا الإعداد، فهذه تهلكة.

جاء في حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنهم كانوا في بعض الغزوات، قال: فحمل رجل من المسلمين حتىٰ انغمس في أوساط المشركين يقاتلهم، فقال بعض الناس: مَه مَه، ألقىٰ بيده إلىٰ التهلكة! أي: كيف يدخل في أوساط الكفار؟ فقال أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مهلاً أيها الناس، فينا نزلت هذه الآية في الأنصار، فلا تُفَسِّروها بغير معناها، إن الله لما نصر نبيه وكثُر أهل الإسلام، قال بعضنا لبعض: إن لنا أموالاً قد

ضاعت –أي بساتين ومزارع عظيمة كانت في المدينة–، وإن الله قد أعز الإسلام ونصر رسوله وكثُر أهل الإسلام فلو رجعنا إلىٰ مزارعنا فأصلحناها، فأنزل الله: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة:١٩٥] قال أبو أيوب: فالتهلكة أن نرجع إلىٰ مزارعنا فنصلحها ونترك الجهاد في سبيل الله)[1]. فهذه هي التهلكة ترْكُ الإعداد للجهاد، كان الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجعل أموال الفيء، ما أفاء الله عليه عُدةً في سبيل الله في السلاح والكُراع أي الخيول التي يقاتَل عليها، يُعِدُّون للكفار.

وربنا سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنفال:٦٠]، أعدوا لهم ما استطعتم، لا يكلف الله المسلمين إلا ما استطاعوا، ولكن لا بد من الإعداد، فلا يبقون مكتوفي الأيدي بل عليهم أن يعدوا لأعدائهم كما يُعِدُّ لهم أعداؤهم.

والذي علَّم أعداءهم صناعة الأسلحة الحديثة سيعلِّمهم، الذي مكَّن لأعدائهم الذين هم أعداء الله وأعداء رسوله من امتلاك الأسلحة القوية سيُمكِّن أحبابه وعباده المؤمنين من ذلك لو هم بذلوا الأسباب، فلا بد للمسلمين من إعداد.

أما إقامة الغزوات أو الحملات علىٰ الكافرين دون إعداد د وتجهيز يمكن به مقامة دول الكفر المتمكنة، ودون راية شرعية واضحة صحيحة كما يفعله أهل الحماس

---

(١) رواه أبو داود(٢٥١٢)، والترمذي(٢٩٧٢).

الفارغ فهذا إهلاكٌ للمسلمين وتدميرٌ لهم، وليس من الجهاد النافع المنضبط بضوابطه الشرعية، كما نرىٰ ونسمع اليوم من قتل آلاف المسلمين مقابل ارتكاب بعض الحماسات التي قام بها من لم يمتثل أمر الله تعالىٰ في هذه الآيات: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [سورة الأنفال:٦٠].

أيضًا نستفيد من هذا: أننا نقيم دين الله في أنفسنا، وهذا من أعظم الإعداد، فإذا كنا نريد النصر فلابد أن ننصر الدين لأن هذا شرط أساسي في النصر ولا يمكن أن يحصل لنا نصر إلا إذا نصرنا الدين، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحج:٤٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [سورة محمد:٧]، كثير من الناس يستشهد بأحوال الصحابة وأفعال الصحابة وأن القليل من الصحابة هزموا الأعداد الكثيرة من الكافرين، نعم هذا صحيح، لكن من هم الصحابة؟ ماذا كان في قلوبهم؟ ما هي أعمالهم التي كانوا يعملون؟ هل كانوا غثاء كأحوالنا اليوم، تجد المسلمين يغضبون ويردِّدون ويُندِّدون ثم تجد المساجد فارغة في صلاة الجماعة، فأين النصر من هؤلاء؟ كيف سيكون النصر مع هذا الحال؟.

تجد المسلمين يريدون إخراج اليهود من أرضهم وقد أسكنوهم في قلوبهم، كيف تريد إخراجهم من الأرض وقد سكنوا القلوب بمحبتهم وتعظيمهم والتشبه بهم ومتابعتهم في أحوالهم؟ أيُرجىٰ من مثل هذا أن ينصر الإسلام؟ وأن يخرج اليهود من بلاد المسلمين؟ لا يخرجهم من أرض الإسلام إلا من أخرجهم من قلبه أولاً، فلا بد من إصلاح أحوالنا.

نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول كما في حديث ابن عمر عند أبي داود(٣٤٦٢): «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**». إذاً هذه أربع أمور كلها موجودة في المسلمين: (تبايعتم بالعينة -أي معاملات فيها ربا فإن العينة نوع من أنواع البيوع الربوية-، ورضيتم بالزرع، واتبعتم أذناب البقر -أي شُغلتم بالدنيا تحرثون الأرض وتزرعونها وتتاجرون وتجمعون الأموال وتبيعون وتشترون وتبنون-، وتركتم الجهاد في سبيل الله -نسيتم الجهاد، وأقبلتم علىٰ الدنيا-، «**سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**». وهذا هو الذلُّ، والله إنك ترىٰ الذل بعينك، لا يجرُؤ أحد من المسلمين أن يتكلم بكلمة شُجاعة يكون فيها إرهاب للكفار فضلاً عن فعل، وهذا ذلٌّ عظيم بسبب الذنوب، (سلط الله عليكم ذلاً)، وهذا الذل لا ينزعه عنكم حتىٰ تراجعوا دينكم، فإذًا لابد من الرجوع إلىٰ الدين.

وجاء في حديث ثوبان عند أبي داود(٤٢٩٧) أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا**». أي تتجمَّع عليكم أمم الكفر كما يجتمع الآكلون علىٰ صحفة الطعام ويدعو بعضهم بعضا إليه، أرأيتَ الجالسين يجلسون علىٰ الطعام فلا يقومون إلا وقد أفنوه، هكذا أمم الكفر، تتداعىٰ علىٰ المسلمين وتتجمع عليهم، قال بعض الصحابة: يا رسول الله! وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ يعني هل المسلمون حين يتجمع الكفار عليهم قليل؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»، هذا هو

الوهن الذي أصاب المسلمين، هذا هو الضعف، أن يحب الناس العيش، أن يحبوا الحياة الدنيا وأن يتعلقوا بها وأن يكرهوا الموت.

كان الصحابة يحبون الموت في سبيل الله أشد من حب الحياة، لذا نصرهم الله، خالد بن الوليد رضي الله عنه أرسل رسالة إلىٰ بعض ملوك الفرس قال فيها: «سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، أَمَا بَعْدُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَبَ مُلْكَكُمْ، وَوَهَّنَ كَيْدَكُمْ، وَفَرَّقَ جَمْعَكُمْ، وَفَضَّ خِدْمَتَكُمْ، فَاعْتَقِدُوا مِنِّيَ الذِّمَّةَ، وَأَدُّوا إِلَيَّ الْجِزْيَةَ، **وَإِلَّا وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَآتِيَنَّكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ**»، فلهذا نصرهم الله.

فلا بد أيها الناس من صلاح الحال لا يكفي الغضب، لا يكفي الانفعال، لا تكفي الكتابات، لا تكفي الخطابات، لا بد من عمل، كلٌّ واحد يحاسب نفسه، ويعرف أنه سبب من أسباب النصر، كلُّ واحد منا لا يَرُدُّ اللوم علىٰ غيره، بل يرد اللوم علىٰ نفسه أولاً؛ ليسعىٰ في إصلاحها، إذا كنتَ تريد النصر للمسلمين فاعمل بأسباب النصر، كيف تريد النصر وأنت تنام عن الصلاة؟ كيف تريد النصر وأنت تعصي الله في لباسك وفي هيئتك وفي تقليدك للكافرين؟ كيف تريد النصر وأنت تتعامل بالربا؟ كيف تريد النصر وأنت تنظر إلىٰ الحرام؟ كيف تريد النصر وأنت تسمع الحرام؟ كيف سيكون النصر وكثير من بلدان المسلمين فيها الشرك وعبادة غير الله، وفيها الاستهزاء بالدين والسخرية من أهله، وفيها التحاكم إلىٰ غير القرآن والسنة، وفيها الربا والزنا والخمور وغير ذلك من المنكرات؟ فكيف سيكون النصر وهذا حال المسلمين، النصر لمن نصر الدين، النصر لمن تمسك بالدين، أما الغثائية فلا تنفع وإن كثرت، ولو بلغ المسلمون أضعاف أعداد الكفار، ولكنهم غثاء فلا يحصل علىٰ أيديهم النصر.

فهذه بعض الدروس والعِبَر التي نستفيدها من مثل هذه الحادثة.

ونسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يعز الإسلام وينصر المسلمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

اللهم ردَّ للمسلمين مجدهم وعزهم يا رب العالمين.

اللهم عليك بالكفار المعتدين.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن تمالأ معهم علىٰ المسلمين.

اللهم عليك باليهود المعتدين، اللهم أنزل عليهم بأسك وغضبك وعقابك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم إنك قادر عليهم فأهلكهم. اللهم إنك قادر عليهم فانتقم منهم.

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وزلزلهم يا قوي يا عزيز.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان. اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

اللهم أنجِ المستضعفين من المسلمين في فلسطين. اللهم اجعل لهم من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل عسر يسراً، ومن كل بلاء عافية.

اللهم أطعم جائعهم، اللهم اكْسُ عاريهم، اللهم اشفِ جرحاهم، اللهم تقبل قتلاهم في الشهداء، اللهم اربط علىٰ قلوبهم، وأنزل السكينة عليهم.

اللهم ارحمهم برحمتك واحفظهم بحفظك أنت خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

٥ / ربيع الآخر/ ١٤٤٥هجرية

***

عز المسلمين في تمسكهم بالدين

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، يقول الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ [سورة المائدة:٨٢]، في هذه الآيات يبين الله سبحانه وتعالىٰ أعداء المؤمنين الذين هم أبرزُ أعدائهم وأشهرهم، وهم ثلاث طوائف: اليهود والمشركون والنصارىٰ، فكل هؤلاء أعداء للمسلمين، وتتفاوت عداوتهم، فأشدُّهم عداوةً للمؤمنين اليهود والذين أشركوا، اليهود أصحاب الديانة المشهورة، وأهل الشرك الذين يعبدون الأوثان كالأصنام والنيران والأشجار والأحجار، هاتان الطائفتان هم أشد الناس عداوة للمؤمنين، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [سورة المائدة:٨٢] والطائفة الثالثة: هم النصارىٰ، وهم أيضاً أعداء للمؤمنين، لكن عداوتهم أهون من عداوة من قبلهم من اليهود وأهل الشرك.

فإذا كان كذلك فالواجب علىٰ المسلم أن يتخذ عدوَّه عدواً وألا يركن إليه، فمن الغفلة أن يركن إلىٰ عدوه أو يثق به، أو يأمنه أو يحبه.

والله -جل وعلا- إنما أخبرَنا بعداوة هذه الطوائف لنحذرهم ولنتخذهم أعداء، قال الله تعالىٰ في العدو الأكبر الذي هو أصل عدو الإنسان وهو الشيطان: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [سورة فاطر:٦]، فهذا رأس الأعداء الذي هو الشيطان أمر الله تعالىٰ أن نتخذه عدوا، وهكذا عداوة اليهود والنصارىٰ والمشركين لأهل الاسلام، يجب أن يتخذوهم أعداء.

وقال تعالىٰ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارىٰ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [سورة آل عمران:١٨٦] ، ستسمعون منهم الأذىٰ وتجدون منهم الأذىٰ، فهم لا يريدون

لكم خيراً إطلاقـاً، قـال الله سبحانه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وأهل الكتاب هم اليهود والنصارىٰ ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:١٠٥]، لا يريدون لكم أيَّ خير ينزل عليكم من الله تعالىٰ، لا يريدون لكم خيراً في دينكم، لا يريدون لكم خيرًا في الاستقامة والتمسك بالدين، ولا في الحفاظ علىٰ أخلاقكم، هكذا لا يريدون لكم خيراً في الدنيا، لا يريدون لكم الأمن، ولا يريدون لكم الاستقرار، ولا يريدون لكم عمارة الأوطان، ولا يريدون لكم الإخاء والتعاون والمحبة والاجتماع فيما بينكم، لا يريدون لكم خيرا أبدا، وهذا خبرُ الله تعالىٰ يخبرنا الله تعالىٰ عنهم، ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي ما يحبون ذلك ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:١٠٥]، إنهم ليسعون الليل والنهار في تفكيك بلدان المسلمين، وفي إشاعة القلاقل والفتن في بلدان المسلمين، يسعون الليل والنهار في زرع الخلاف والأحقاد بين المسلمين، فترىٰ بلدان المسلمين طالت فيها الحروب والفتن والخلافات، ونُزِع من كثير منها الأمن في حياتهم، والاستقرار في أوضاعهم ومعيشتهم وما هم فيه من دنياهم، وهذا بسبب سعي الكفار.

وهكذا يسعون في إضعاف الدين، فترىٰ المسلمين ضعف دينُهم، ضعف تَمَسُّكُهم، وضعف عملهم بالأخلاق الإسلامية، وتشبهوا بالكفار، وسارعوا في تقليدهم بسبب الفتن التي يزرعها أهل الكفر بين المسلمين، فهم ليسوا غافلين عنكم، هم يكرهون

أهل الإسلام ويحقدون عليهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة:١٢٠]، حتىٰ تصير يهوديا أو نصرانيا، وأما غير ذلك فلا يمكن أن يرضوا عنك ولو فعلت ما فعلت، فهم ليسوا راضين عن المسلمين، يريدون ألا تستقر بلدان أهل الإسلام، فزرعوا في أوساطهم الأعداء، زرعوا لهم الرافضة، وزرعوا غيرهم من أعداء المسلمين، وفرقوا كلمة المسلمين، وأشعلوا الحروب والفتن في بلدان المسلمين، وإذا وُجِد بلد عجز عنه الأعداء الداخليون يغزونه بأنفسهم ويدمرونه، كما نسمع وتسمعون ما يحدث اليوم للمسلمين في قطاع غزة وما حوله، فهذا هو الحقد اليهودي النصراني وحقد أهل الشرك علىٰ أهل الإسلام؛ لأن المسلمين هم الذين أطاحوا بهذه الملل وممالكهم في زمن عِزِّ الإسلام، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو الذي أخرج اليهود من المدينة، وأذلَّ من أذل منهم بخيبر، وهكذا عمر بعد ذلك أخرج من بقي في جزيرة العرب من اليهود إلىٰ الشام، وهكذا المسلمون هم الذين نكَّسوا رايات النصارىٰ في زمن الفتوحات الإسلامية، دولة النصارىٰ التي كانت بالشام وكانت بالمغرب وكانت في كثير من بلاد أوروبا فتحها المسلمون، فلا زال الحقد في قلوب هؤلاء علىٰ أهل الإسلام، يكيدون لهم ليلاً ونهاراً، لا يريدون استقرار بلدانهم ولا أوضاعهم ولا استقرار معيشتهم.

فإذاً، الواجب علينا -عباد الله- أننا نعتزُّ بالإسلام ولا نَضْعُف عن التمسك به، فإسلامنا هو مصدر عزنا، إسلامنا هو كرامتنا، إسلامنا هو رفعتنا في الدنيا والآخرة، هذا الدين الذي جاء به الرسول وبه رَفَعَنا الله، فقد كان العرب قبل الإسلام لا يُبالَىٰ بهم، كانوا في فقر وفي شدَّة وفي ضعفٍ من الحال وفي تفرُّق وتناحر واختلاف،

فجمعهم الله بالإسلام فكسروا كسرىٰ وقصروا قيصر ودمروا اليهودية والنصرانية وأهل الشرك بالإسلام، فلا عز لنا إلا بالإسلام، لأن الكفار أكثر منا عدداً وأعظم منا قوة بالقوة المادية، وأكثر منا في كثير من شؤونهم، أكثر منا أموالاً، وأعمَرُ منا بلدانا، لكن عزنا نحن بإسلامنا، عزنا بديننا، ولَمَّا جاء الرسول بهذا الإسلام اجتمع المسلمون عليه فصار لهم شوكة.

كان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو في المدينة يلبس الثوب المرقَّع وينام علىٰ الأرض ويتوسد نعليه ينام عليهما وكان يهابه مَلِكُ الفرس، يهابه ملك الروم، فكان المسلمون حين تمسكوا بالدين في عزة، فلا نطمع في عزة إلا بالدين، وأما بالدنيا فهم أكثر منا وأقوىٰ في أمور الدنيا من أزمنة قديمة وليس من اليوم.

ولكن بالدين نحن أقوىٰ منهم وأعظم وأكبر، أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان أميرَ الشام بما فيها فلسطين وبيت المقدس، ولمَّا جاء عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ليستلم مفاتيح بيت المقدس من النصارىٰ ليفتحه للمسلمين، جاء عمر أمير المؤمنين الذي يخافه الملوك راكبا علىٰ بعير أو ناقة فعَرَض له في الطريق طينٌ ووَحْلٌ فنزل أمير المؤمنين وحمل نعليه بيده ومشىٰ في الطين، فلما رآه أبو عبيدة ابن الجراح أميرُ الشام وهو يعرف ما عند النصارىٰ من التباهي والتفاخر، قال له: يا أمير المؤمنين، أوَدُّ أن يراك الناس علىٰ هيئة أحسن من هذه، أنت أمير المؤمنين ويهابك الناس وتمشي برجليك في الأرض وقد تلطَّختْ رجلاك بالطين وتحمل نعليك في يدك، فأريد أن يراك أهل الشام علىٰ هيئة أكمل من هذه، فقال له عمر كلمته المشهورة: يا أبا عبيدة لو غيرُك قالها لأوجعتُه، أي لضربته، إننا أمة أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغير

الإسلام أذلنا الله، نحن أناس أعزَّنا الله بالإسلام كنا قبل الإسلام لا شيء، فأعزنا الله تعالىٰ بالإسلام فما دمنا متمسكين به فنحن أعزاء فإذا تخلَّفنا عن تعاليم الإسلام وطلبنا العز بغير الإسلام أذلنا الله، إي والله نكون في ذلة، كما نرىٰ الذل اليوم في أهل الإسلام بسبب ضعف الدين ولأنهم أرادوا العزة بغير الإسلام، أرادوا العزة من الكفار، أرادوا العزة بالخضوع لأهل الكفر، بعدم التمسك بهذا الإسلام الصحيح، فتسلَّط علينا الكفار، وقتلوا من قتلوا وشرَّدوا من شردوا، وسرقوا ما سرقوا، وفعلوا فينا الأفاعيل، ولو تمسكنا بهذا الدين حقاّ لصرنا والله أعزة.

الإسلام له هيبة عظيمة في قلوب الناس، والناس يهابون المسلمين المتمسكين بدينهم، ولذا الآن انظر إلىٰ الإشاعات التي أشاعها أهل الكفر بين المسلمين، فمَن رأوه متمسكا بدينه مستقيماً علىٰ ذلك قالوا: (هذا إرهابي)، حتىٰ اقتنع بعض المسلمين -فضلاً عن الكفار- بهذه الفكرة، وأن المتمسِّك بالدين والمستقيم علىٰ الدين إرهابي، صار التَّمَسُّك بالدين إرهاباً، وصار ذمًّا وتشويها عند بعض المسلمين، لماذا؟ هذه مكيدة من الكفار لأجل أن يجعلوا المسلمين يبتعدون عن التمسك بالدين؛ لأنهم يعلمون أن المسلمين لو تمسكوا بدينهم ورجعوا إليه وأخذوا به أن دول الكفار ستزول، وأن المسلمين سيتمكنون، فأشاعوا في الناس هذه النظرة التي وصلت إلىٰ قلوب بعض المسلمين اليوم، واقتنع بها بعض أهل الإسلام فصاروا يرون من يتمسك بدينه ومن يحافظ علىٰ دينه ويلتزم أوامر الله مُتَّهما بتهمة الإرهاب.

هذا الإرهاب الذي يرمينا به الكفار اليوم وصدَّقه بعض المسلمين هم يعرفون أنه مصدر عزِّ الإسلام، وأنه الطريق الصحيح لاستعادة المسلمين لمجدهم ورفعتهم، وهو التمسك بالدين والأخذ بتعاليمه.

انظر إلىٰ حال المسلمين ترىٰ كثيرا من المسلمين اليوم غافلا، تأتي صلاةَ الفجر فتجدُ في المسجد أعدادا يسيرة، وهكذا غيرها من أماكن العبادات والطاعات، بينما تجد الأسواق وأماكن لعب الكرة وغيرها من أماكن الغفلة مليئة بالناس، بعض اليهود لما سُئل: متىٰ ينتصر المسلمون؟ أو متىٰ يخرجونكم من بيت المقدس؟ قال: إذا رأيت المسلمين يصلون الفجر كما يصلون الجمعة، فعندها سينتصرون علينا، إذا كان المسجد عامرا في صلاة الفجر كصلاة الجمعة فهنا نعرف أنه قد رجع المسلمون إلىٰ دينهم، وهذا من علامات ذلك، فهنا يحصل لهم النصر.

اليوم وللأسف المساجد خالية، اليوم وللأسف صار التمسك عند الناس بالدين ضعيفا، اليوم وللأسف صار المسلمون يقلِّدون الكفار في أفعالهم وهيئاتهم وسائر شؤونهم، اليوم وللأسف صار كثير من المسلمين يحبُّون الكفار بل بعضهم يحبهم أشد من حب المسلمين، فكيف نأمل أن يكون للمسلمين عزٌّ وهم تَبَعٌ لغيرهم ومتأثرون بهم، فلا عزَّ لنا إخواني في الله إلا بالتمسك بهذا الدين، بالتمسك بهذا الإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغير الإسلام أذلنا الله.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس، أخرج الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٢٩٧) عن ثوبان مولىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا**» شَبَّه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمة الإسلام بقصعة الطعام أرأيت الإناء –الصحفة أو الصحن– الذي فيه الطعام، يتداعىٰ الأكلة عليه، كل واحد يدعو الآخر فيجلسون عليه فيأكلون ما فيه، هكذا مثَّل الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه الأمة بقصعة فيها طعام، قال أهل العلم: وهذا إشارة إلىٰ الخير الذي في بلاد المسلمين، ففيها خير عظيم كقصعة الطعام المليئة بالخير، فلهذا تتداعىٰ عليها أمم الكفر «**تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ**»، أي الأمم الكافرة «**كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا**»، يجتمعون عليكم كما يجتمع الآكلون علىٰ قصعة الطعام، يريدون إبادة خيركم وإذهاب ما عندكم من الخير كما يبيد الآكلون الطعام الذي في القصعة، فسأل الصحابةُ رضي الله عنهم وقالوا: يا رسول الله أوَ مِن قلة نحن يومئذ؟ أي هل هذا بسبب أننا قليل يتجمع علينا أهل الكفر؟ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ**» أعداد كثيرة، اليوم المسلمون أكثر من مليار، «**أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**»، غثاء السيل هو العيدان والتفث وما يأتي فوق السيل مما يذهب يميناً وشمالاً، «**وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ**»، لا يبقىٰ في قلوب عدوكم هيبة لكم «**وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**». قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا

الْوَهْنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»، هذا هو الوهن، هذا هو الضعف، أن تتعلق قلوب المؤمنين بالدنيا ويكرهون الموت.

كان الصحابة رضي الله عنهم كما قال خالد بن الوليد رضي الله عنه حين أرسل رسالة إلىٰ بعض ملوك الفرس فقال فيها: «**وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَآتِيَنَّكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ**»، فإذا تعلَّق المسلمون بالدنيا وعملوا لها وضيَّعوا فيها أعمارهم وصار الذي يبالي بالدين منهم قليلا؛ حصل الوهن والضعف وحصل الذل للمسلمين.

وجاء في حديث ابن عمر عند أبي داود(٣٤٦٢) وغيره أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ** -العينة نوع من أنواع البيع الذي فيه ربا-، **وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ** -أي شُغلتم بزراعة الأرض والتجارة في الأموال-، **وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**».

أيها الناس، لا بد أن نتمسك بهذا الدين، لا بد أن نتمسك بتعاليمه وأخلاقه وآدابه، والله إنه لا أعظم من دين الإسلام، جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفيه كل خير للناس، لم يترك خيراً إلا دلَّهم عليه، ولم يترك شراً إلا حذرهم منه، علينا أن نتمسك بهذا الدين، علينا أن نربي أنفسنا وأن نُعِد أنفسنا قبل كل شيء تربية إيمانية تربية دينية، أما وكثير منا مُضَيِّع لحقوق الله عليه، مضيع لصلاته، مضيع لمعاملات الإسلام الصحيحة التي حث عليها الإسلام، مضيع لأخلاق الإسلام التي دعا إليها الإسلام، فهنا يكون النصر علىٰ الأعداء بعيدا منا.

نحن قد فرَّطنا في كلام الله، كم نحفظ من القرآن؟ كل واحد من المسلمين يحاسب نفسه، كم يحفظ من القرآن؟ كم يقرأ القرآن في اليوم مرة؟ هذا ديننا هذا الذي حصل لنا به العزَّ والتمكين، كتاب ربنا نزل من السماء لعزنا وشرفنا، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ﴾ [سورة الأنبياء:١٠]، قال أهل العلم: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي فيه عزكم وفيه شرفكم وبه تُذكَرون، كنتم لا تُذكرون حتىٰ نزل القرآن فصرتُم تُذكَرون، فكلام الله هو النور والهداية، علينا أن نحفظ من القرآن، وأن نحفِّظ أبناءنا وبناتنا ونساءنا من كلام الله ما استطعنا، علينا أن نعمل به، علينا أن نُظهِر القرآن في أخلاقنا وفي معاملاتنا وفي هدينا وفي لباسنا وفي سائر شؤوننا، فهذا أعظم ما أعطانا الله تعالىٰ من النعم هو هذا الدين العظيم.

فيا عباد الله، لنتمسك بهذا الدين وليعرف الواحد منا ما أوجب الله تعالىٰ عليه، تعلَّموا العلم، تعلموا أحكام الدين، فالعلم موجود والعلم مبذول وأهل العلم موجودون وكل واحد منا سيُسأل في قبره ويوم القيامة إذا لم يتعلم دينه، كل واحد مسؤول، كل مسلم أنا وأنت أيها المسلم كلنا مسؤولون، فإذا أردنا الخير لأنفسنا فهو بهذا الدين، أخلاق الإسلام لا أعظم منها، وتعاليم الإسلام لا أعظم منها، ومعاملات الإسلام لا أعظم منها.

كان يأتي الرجل من الكفار إلىٰ المسلمين فيرىٰ أخلاق المسلمين ويُسلِم، بمجرد ما يرىٰ أخلاقهم، وصل المسلمون إلىٰ كثير من البلدان ففتح الكفار لهم بلدانهم ورحَّبوا بهم فرحًا بالإسلام الذي يسمعون عن عدالته وحسن معاملته وما فيه من الخير للبشرية، لم تشهد البشرية نظاما حاكما أكمل من الإسلام، أما اليوم فضَعُفَ

تمسُّك أهل الإسلام به، وضيَّع كثير من أهل الإسلام تعاليم الإسلام، وصاروا مقلدين لأعدائهم، صاروا يحبونهم، ويتشبهون بهم، ويعظمونهم في قلوبهم وهم والله ليسوا بمعظَّمين، إنما المعظَّم هم أهل الإسلام.

فالذي نتواصىٰ به أيها الناس أن نتمسك بديننا فديننا هو مصدر عزِّنا، ديننا فيه الخير لنا في الدنيا والآخرة، متىٰ تمسكنا بهذا الدين رفعنا الله وأعزنا الله وأعلىٰ الله تعالىٰ شأننا وصلحت أمور ديننا وأمور دنيانا، ويفشوا الأمن والاستقرار والحياة الطيبة في أوساط الناس بتعاليم الإسلام، ومتىٰ تخلينا عن الدين وابتعدنا عن كلام الله ابتلانا الله.

فحافظوا علىٰ صلاتكم، حافظوا علىٰ قرآنكم، أَقْبِلوا علىٰ كتاب الله، احرصوا علىٰ تعلُّم العلم النافع من أهله، حافظوا علىٰ التمسك بالدين وتعاليم الإسلام في أخلاقكم وفي معاملاتكم وفي هديكم وفي سائر شؤونكم، بهذا يكون الخير ويحصل الفلاح في الدنيا والآخرة.

نسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم من أراد المسلمين بسوء فاجعل كيده في نحره، اللهم قنا وقِ المسلمين من شره.

اللهم رد المسلمين إلىٰ دينهم رداً جميلاً.

اللهم عليك باليهود والنصارىٰ ومن أعانهم علىٰ المسلمين.

اللهم فرج عن إخواننا المستضعفين في بلاد فلسطين، اللهم فرج عنهم ما نزل بهم يا أرحم الراحمين، اللهم أطعم جائعهم، اللهم اكسُ عاريهم، اللهم أمِّن خائفهم، اللهم اشفِ جرحاهم، اللهم تقبل قتلاهم في الشهداء. والحمد لله رب العالمين.

٣/ جمادىٰ الأولىٰ/ ١٤٤٥هجرية

***

كيف ننصر الأقصى؟

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، إن من حكمة الله سبحانه وتعالىٰ في هذه الحياة الدنيا أنه يُديل الحق علىٰ الباطل وينصره عليه، وقد يُديل الباطل علىٰ الحق، فيعلوا في زمان من الأزمنة، أو مكان من الأمكنة، فيتسلط المبطلون علىٰ أهل الحق، يتسلط أعداء الله علىٰ أوليائه، ولذا لما سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فقَالَ: هَلۡ قَاتَلۡتُمُوهُ

-وكان أبو سفيان حينئذ مشركا- أَوْ قَاتَلَكُمْ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ قُلْتُ: كَانَتْ دُوَلًا وَسِجَالًا يُدَالُ عَلَيْنَا الْمَرَّةَ -يعني ببدر- وَنُدَالُ عَلَيْهِ الْأُخْرَىٰ -يعني بأُحد-، فقال هرقل: كَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَىٰ وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ.

وهكذا موسىٰ حين شكىٰ له المؤمنون من قومه تَسَلُّطَ فرعون عليهم بقتلهم، وذبح أطفالهم واستعبادهم، ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [سورة الأعراف:١٢٩]، شكوا إليه الأذية، فقال لهم موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [سورة الأعراف:١٢٨]، فهذا وعد الله تعالىٰ أن العاقبة لأهل التقوىٰ، وأن الرسل وأتباعهم يُبتلون ثم تكون العاقبة لهم.

وإن من أشد ما ابتلي به المسلمون بل من أشد ما ابتلي به الناس حتىٰ قبل أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ هي الطائفة اليهودية، الذين هم شرُّ الخلْق وأشدُّهم تعنُّتًا وعنادا وكراهية للحق وأهله، فهذه الأمة أخبر الله تعالىٰ أنه:

غضب عليهم، وهذه من أعلىٰ مراتب العقوبة أن يغضب الله تعالىٰ عليهم، فهم أمة كُتب عليهم غضب الله إلىٰ يوم القيامة، قال الله: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ [سورة المائدة:٦٠]، لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير، مَسَخَ طوائف منهم قردة، ومسخ طوائف منهم خنازير، وجعل منهم من عبد الطواغيت، وأخبر الله تعالىٰ عنهم أنهم شر الناس مكانة وأضلُّ عن سواء السبيل،

فهذه الأمة أمةٌ رجس، أمةٌ ملعونةٌ مغضوبٌ عليها، جمعوا الأمرين: لعنهم الله وغضب عليهم.

كذلك لعنهم أنبيائهم، كما لعنهم الله، قال الله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ [سورة المائدة:٧٨]، أنبيائهم الذين هم أرحم الناس بهم لعنوهم، لأنهم أمة جمعت من صفات الذم والقبح والنقص ما لم تجمعه أمة سواها.

لم يسلم منهم رب العالمين، فقد تطاولوا على الله ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [سورة المائدة:٦٤]، مغلولة أي عن الأنفاق، يقولون هذا في الله تعالىٰ الذي نفقاته بالليل والنهار، يصفونه بأنه بخيل وأن يده مغلولة، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [سورة آل عمران:١٨١]، قالوا: الله فقير يستقرض من عباده ويستدين منهم حين قال الله تعالىٰ: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [سورة التغابن:١٧]، والمراد إن تتصدقوا، وسمَّىٰ الله تعالىٰ الصدقة قرضا ليطمئن العباد بأنها راجعة إليهم ولا تذهب عنهم، وأنها كالقرض، فبهذا الأمر وصفوا الله بالفقر وأن الله يستقرض عباده.

نسبوا لله الولد: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٣٠]، وقال الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [سورة المائدة:١٨]، فنسبوا لله الولد، هذا الذنب العظيم الذي يهُدُّ الجبال وتنشقُّ منه الأرض وتنفطر منه السماء، قال الله: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ

هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [سورة مريم:٨٩-٩٢]، وقال الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [سورة الإخلاص:١-٣]. ، وقال الله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [سورة المؤمنون:٩١]، وهؤلاء نسبوا لله الولد.

هكذا نسبوا لله التعب والإعياء، قالوا: خلق السماوات والأرض في ستة أيام فتعب فاستراح في اليوم السابع، فأنزل الله القرآن مكذبًا لقولهم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة ق:٣٨]، ما مسّنا تعبٌ وإعياء كما تزعم اليهود، فهؤلاء أناس تطاولوا علىٰ الله تعالىٰ.

كذلك تطاولوا علىٰ أنبياء الله بالقتل والسب والذم والضرب والاعتداء والتشريد، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة المائدة:٧٠]، أيُّ رسولٍ يأتي بشيء لا يوافق ما في نفوسهم يكذبونه ويقتلونه، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة البقرة:٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [سورة آل عمران:١١٢]، وتأمل في الجمع (يقتلون الأنبياء) ولم يقل: (قتلوا نبيا أو نبيَّن).

وأخرج ابن أبي حاتم(٣٩٩٨) بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ –أي اليهود– يَقْتُلُونَ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثَمِائَةِ نَبِيٍّ، ثُمَّ يَقُومُ سُوقُ بَقْلِهِمْ مَعَ

آخِرِ النَّهَارِ)[١]، لا يبالون بحُرمة الأنبياء فلذا يقتلون في يوم ثلاثمائة نبي، في يوم واحد وهم أنبياء خيار خلق الله، ثم ينقلبون إلىٰ تجاراتهم وأعمالهم كأنهم لم يفعلوا شيئا، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [سورة النساء:١٥٥]، قتلوا أنبياء الله بغير حق، فهذا رب العالمين -جل جلاله- لم يسلم منهم، وهؤلاء أنبيائه الذين هم خيرة خلقه لم يسلموا من أذىٰ هذه الأمة الملعونة.

اليهود هم نقَضَة العهود، الكافرون بالله والمكذبون لرسله والمعتدون علىٰ أنبيائه، الذين لم يفوا بعهدهم إذا عاهدوا، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [سورة المائدة:١٣]، فهم أصحاب نقض للمواثيق وللعهود لا يفون بها.

اليهود هم أشد أعداء المؤمنين علىٰ الإطلاق، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [سورة المائدة:٨٢]، هؤلاء أشد الناس عداوة للمؤمنين، ومع عداوتهم هذه هم أرذل الناس وأجبن الناس وأذل الناس، وإذا واجههم المؤمنون لا يقفون في وجوههم، ولا يستطيعون مقاومتهم؛ لأن الله تعالىٰ قد جعل الذلة في قلوبهم لا تفارقها، وعاشوا حياتهم أذلاء، ولذا فهذه صفات الذليل الغدر والمكر والخيانة، وأما الشجاع فهو صريح ومُواجِه، فلِذِلَّتهم صاروا من أخبث الناس علىٰ عباد الله المؤمنين، وإلا فهم أذلة، قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ

---

(١) هذا الأثر كنتُ ذكرته بناءً علىٰ ظاهر إسناده فإنه صحيح، ثم رأيت الإمام الألباني رحمه الله قد أنكره في السلسلة الضعيفة (١١/ ٨١٣) تحت حديث رقم (٥٤٦١)، وأنه من الإسرائيليات الباطلة التي يُكذِّبها العقل والنقل.

أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١١١]، لا يمكن أن يقفوا في وجوهكم، وقال الله عنهم: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [سورة الحشر:١٣]، يخافونكم أشد من خوف الله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ ﴾ [سورة الحشر:١٣-١٤]، الحصون يأمنون بها، أو بطائراتهم من الجو ولا يواجهون في الأرض ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ ﴾ [سورة الحشر:١٤]، خلافهم في أوساطهم شديد، فبينهم الاختلاف والتنازع، ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الحشر:١٤]، فهذه صفات هؤلاء الأذلة.

قال الله عنهم: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ أينما وجدوا فهم أذلة لا تفارق الذلة قلوبهم، ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ﴾ [سورة آل عمران:١١٢]، ضربت عليهم المسكنة أي الضعف والمهانة، فوالله ليسوا بشيء.

تَعِبَ فيهم نبي الله موسىٰ وحاول معهم أن يدخلوا أرضا وبلدا وعدهم الله بها وضمنها لهم، فأبوا أن يدخلوها لذُلِّهم، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [سورة المائدة:٢٠-٢١]، أي هذه أرض كتبها الله لكم، أي في ذاك الزمان فادخلوها، بمعنىٰ: ما عليكم إلا أن تبذلوا السبب وأن تصلوا باب المدينة وأعداؤكم يفرُّون منها ويتركونها

لكم، ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ ﴾، فانظر ماذا أجاب الذين طُبعت الذلة في قلوبهم، ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ ﴾ [سورة المائدة:٢٢]، أي فيها أناس أشداء لا نستطيع لهم، ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا ﴾ [سورة المائدة:٢٢]، سبحان الله حتىٰ السبب لا يبذلونه، فقالوا: إن خرجوا منها نحن سندخل أما ما داموا فيها فلا يمكن أن ندخلها، سبحان الله ذلٌّ عظيم في قلوبهم، ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ ﴾ [سورة المائدة:٢٢-٢٣]، ابذلوا السبب فاقتربوا من هذه البلدة، ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ ﴾، هذا وعد الله لكم وأنكم ستغلبون، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ ﴾ [سورة المائدة:٢٣-٢٤]، فتألَّم نبي الله موسىٰ منهم وأنهم حتىٰ السبب ما يبذلونه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ ﴾ [سورة المائدة:٢٥]، فعاقبهم الله تعالىٰ، ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ ﴾ [سورة المائدة:٢٦] ما دام أنهم لم يدخلوها ولم يستجيبوا لأمر الله سأُحرِّمُها عليهم ﴿ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾، لا يدرون أين يتوجهون يصبحون في مكان ويبيتون في مكان آخر أربعين سنة، قال الله لنبيه موسىٰ: ﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾ [سورة المائدة:٢٦]، لا تحزن عليهم، هؤلاء فاسقون.

فإذاً، هم أذلة، والذلة لا تفارق قلوبهم، ولكنهم تسلَّطوا علىٰ المسلمين اليوم بسبب ضعف المسلمين لا لقوَّتهم، فهم بعيدون عن القوة الحقيقية والقوة بعيدة منهم، ولكنهم تسلطوا علىٰ المسلمين بسبب ضعفهم، وأيضاً ابتلاءٌ من الله للمسلمين ليرجعوا إلىٰ دينهم.

فهذه أمة اليهود وهؤلاء إخوة القردة والخنازير رغم شدتهم وعداوتهم وخبث طباعهم إلا أنهم ضعفاء أذلة مغلوبون ضربت عليهم المهانة.

والله لن يقفوا للمسلمين أبدا لو قاتلهم المسلمون، لن يقفوا في وجوه المسلمون أبدا، ولن يقدروا علىٰ ذلك، إذا كان المسلمون متمسكين بدينهم، ولكنهم استضعفوا المسلمين، واستهانوا بهم حين رأوا بُعدهم عن دينهم، فرأوها فرصةً للتسلط عليهم.

نسأل الله تعالىٰ السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أيها الناس، كما أن اليهود بهذه المثابة من الذلة فالمؤمنون ضَمِن الله تعالىٰ لهم العزة، إذا هم حققوا الإيمان وعملوا به، فالعزة لله، والله سبحانه وتعالىٰ يعطيها من يشاء، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سورة فاطر:١٠]، وقال الله: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [سورة النساء:١٣٨-١٣٩]، فالعزة لله سبحانه وتعالىٰ حتىٰ إنه أضاف اسمه -جل وعلا- إلىٰ عِزَّته: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾ [سورة الصافات:١٨٠]، فهو رب العزة، ومن صفاته العزة -جل جلاله-.

والله تعالىٰ قد أخبر أنه كتب العزة لأهل الإيمان، قال الله تعالىٰ عن المنافقين أنهم قالوا: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [سورة المنافقون:٨]، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين إذا هم حققوا الإيمان فهم الأعزة.

ولذا نهاهم الله عن الضعف والهوان ما داموا مؤمنين، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [سورة آل عمران:١٣٩]، إذا كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون، وقال: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٥﴾ [سورة محمد:٣٥]، أنتم الأعزة فلا تضعفوا ولا تهنوا ولا تطلبوا من هؤلاء

اليهود وأمثالهم المسالمة، أي لا تدعوهم إلىٰ السلم ما داموا هم المعتدين وما دمتُم قادرين عليهم.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣﴾ [سورة التوبة:١٣]، أنتم أهل العزة يا أهل الإسلام، النصر للرسول، وللمؤمنين من بعد الرسول ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢١﴾ [سورة المجادلة:٢١]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [سورة الصافات:١٧١-١٧٣]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٤٧﴾ [سورة الروم:٤٧]، فهذا حق أوجبه الله علىٰ نفسه أنه ينصر المؤمنين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧﴾ [سورة محمد:٧]، إن تنصروا الله أي بنُصرة دينه، بنُصرة التوحيد، بنُصرة السنة التي جاء بها الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بنشر العلم وردِّ شبه المبطلين، هذا هو النصر الحقيقي، ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، ولا نصر لنا إلا بنصر الله، أي بنصر دينه فهذا شرط، ولن يتحقق المشروط إلا بتحقيق الشرط ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [سورة الحج:٤٠]، فسَّر بعد ذلك مَن هم الذين ينصرون الله فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٤١﴾ [سورة الحج:٤١]، هذه صفاتهم أقاموا الصلاة في أرض الله، وأمروا الناس بذلك، وآتوا الزكاة وأمروا الناس بالمعروف فلا يرون معروفا إلا ويأمرون به، يُفشون المعروف بين الناس، ونهوا عن المنكر فلا يرون منكرا إلا وينهون

عنه، هنا يكون النصر، أما ما دام المعروف ضعيفاً في بلاد المسلمين ولا يُؤمر به إلا قليلا، والمنكرات فاشية بشتىٰ أنواعها والنهي عنها قليل أو نادر، والصلاة مُضَيَّعة عند كثير من الناس، والزكاة مُتلاعَب بها عند كثير من الناس، فكيف يكون النصر؟ لأن هذه شروط ذكرها الله للنصر ولابد من الأخذ بها.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [سورة النور:٥٥]، فهذا وعدٌ بالاستخلاف في الأرض والتمكين للدين والأمن والاستقرار، والشرط المطلوب مقابل هذه الجزاءات كلها، قال الله تعالىٰ في تمام الآية: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [سورة النور:٥٥]، هذا هو الشرط إقامة توحيد الله الذي جاهد عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون، فهنا يكون النصر، ويكون العز والتمكين، مهما كانت قوة البشر لا يمكن أن تواجه قوة الله، فلو أن المؤمنين عملوا بمثل هذه الآيات، وهكذا بذلوا الأسباب المادية من الإعداد وتجهيز الأسلحة بما يستطيعون، وتوكلوا علىٰ الله واعتصموا به، والله لينصرنهم الله ولا تقف في وجوههم قوة في هذا الكون.

وقد أخبرنا الله عن إهلاك من كان أشد قوة من الكفار الموجودين اليوم فهذه عادٌ الأقوياء الأشداء الذين وصفهم الله بأنه لم يُخلق مثلهم في ذلك الزمان ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ [سورة الفجر:٧-٨]، من قوتهم وشدتهم لم يكن هناك خلق كمثلهم، فلما افتخروا بقوتهم ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة فصلت:١٥-١٦]، فهذا مخلوق واحد وجندي من جنود الله، أهلكهم الله به وهو الريح، فانتهت عاد في ثمانية أيام ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحاقة:٧]، ثمانية أيام وسبع ليال، أي بدأت في نهار اليوم الأول وانتهت في آخر النهار من اليوم الثامن، فانتهت عاد في أسبوع، فهذه قوة الله لا يقف أمامها أحد.

يخرج قوم يأجوج ومأجوج فيَقتُلون كلَّ من واجهوه في الأرض ولا يبقىٰ أحد إلا عيسىٰ مع جماعة من المسلمين، قد تحرَّزوا في جبل الطور، ثم يرمون بسهامهم إلىٰ السماء فيَرُدَّها الله مخضوبة دما -فتنةً لهم- فيقولون: قتلنا أهل الأرض وأهل السماء. فيُرسل الله عليهم النغف في رقابهم -وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم- فيأكلهم من داخل رقابهم فيهلكهم الله به، فيصبحون قتلىٰ كموت نفس واحدة، رغم قوَّتهم وكثرتهم ولكن قوة الله أعظم، في ليلة واحده يموتون فيها كلهم ولا يستطيعون البقاء، هذه قوة الله.

هكذا فرعون كم هدَّد موسىٰ وكم توعَّده وكم افتخر عليه، قال لقومه: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الزخرف:٥١-٥٢]، يصف نبي الله موسىٰ بأنه مهين ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الزخرف:٥٢]، افتخر بالأنهار فأغرقه الله في النهر هو وكلُّ قومه، وتلك القصور وتلك الأنهار من ورثها؟

ورثها موسىٰ وقومه، فانظر كيف أن هذا العدو أهلكه الله بما افتخر به، وهكذا كم من الأمم أهلكهم الله رغم قوتهم وتمكنهم.

خرجت قريش يوم بدر بفخرها وخُيَلائها بطرا ورئاء الناس، خرجوا لإنقاذ العير، فنجي أبو سفيان بالعير وأرسل إليهم رسالة: ارجعوا قد نجت العير، قالوا: لا والله لا نرجع، حتىٰ نرد بدرا، وكانت بدر سوقا، فننحر الإبل، ونشرب الخمور، وتُغَنِّينا القَيْنَات، فيسمع العرب بنا، فلا يزالون يهابوننا أبد الدهر، أرادوا بقوتهم أن يخيفوا سائر العرب، وما أن جاء اليوم الثاني، حتىٰ صار كبارُهم ورأساؤهم وصناديدهم مردومين في قليب بدر، سبعون قتيلا، وأُسِر منهم سبعون، ونُكِّل بهم تنكيلٌ لم يحصل لهم قبل، فقوةُ الله -جل وعلا- -سبحانه وتعالىٰ- أعظم من كل شيء.

فهذه الأمم: عادٌ وفرعون ومن معه، وهكذا يأجوج ومأجوج كانوا أشد قوة من أمم الكفر اليوم، وأعظم هيبة في صدور الناس من هيبة أمم الكفر اليوم، ومع ذلك أهلكهم الله بأشياء يسيرة من مخلوقاته، ولم يستطيعوا الوقوف أمامها لأن قوة الله لا يقدر علىٰ مواجهتها أحد مهما كانت قوته.

فهذه عبر وآيات، لننظر كيف نَصَر الله المسلمين عليهم بتمسكهم بالدين، نصرهم الله عليهم بأخذهم بأسباب النصر الحقيقية، فلا تستعصي علىٰ المسلمين أمريكا، ولا أروبا، ولا روسيا، ولا غيرها من دول الكفر بما معهم من أسلحتهم وطائراتهم وأساطيلهم وغيرها من عُدَّتهم، لن يقفوا أمام المسلمين أبدا، إذا تمسك المسلمون بدينهم، لأن المسلمين يستمدون قوتهم من الله، لكن لابد من تحقيق أسباب النصر.

عباد الله، نحن جميعا مخاطبون بذلك، فنحن جزء من الأمة، أفعالنا نحن سببٌ في ذُلِّ الأمة أو عزَّتها، فلنراجع أنفسنا ونحاسبها، ونحن لا نخاطب بهذا الكلام أناسا غائبين، بل نخاطب أنفسنا، نخاطب من يسمع كلامنا من إخواننا المسلمين، أنهم هم جزء من هذه الأمة وأفعالهم سبب في نصر هذه الأمة أو ذل هذه الأمة، فليُصلح كل واحد منا نفسه، ولا نغتر بدعايات الغرب ولا بتقليد الكفار، ولا بالإخلاد إلىٰ الدنيا ومحبتها والتعلق بها، لِنُقِم دين الله، لِنَطْلب العلم ونحقق التوحيد، وننشر هذا العلم في الناس، ونحفظ كتاب الله وسنة رسوله ونفشي ذلك في الأمة، فهذا سبيل النصر، هذا سبيل العز مع بذل الأسباب المادية، من إعداد العدة، وترتيب الجيوش، وتدريب العساكر، والأخذ بالأسباب التي كان الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يأخذ بها، إذا اجتمع ذلك فسبيل النصر والعز والتمكين –ولابد– لهذه الأمة.

وأما داموا مخالفين فإن الله تعالىٰ يبتليهم، ليرجعوا إلىٰ دينهم، ليرجعوا إلىٰ ربهم، فهذ الذُّل لا ينزعه الله عن المسلمين حتىٰ يُراجعوا دينهم، هذا الذل الذي تسلط علىٰ المسلمين لا ينزع حتىٰ يراجع الناس دينهم.

فنسأل الله تعالىٰ أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

نسأل الله –جل وعلا– أن يرد المسلمين إلىٰ دينهم ردا جميلا.

اللهم أعِنَّا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم يَسِّر لهذه الأمة أمر رشد يُعز به أهل طاعتك ويذل به أهل الكفر بك.

اللهم ولِّ علينا خيارنا، اللهم ولِّ علينا خيارنا، اللهم ولِّ علينا خيارنا.

اللهم عليك باليهود المعتدين، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا متين، اللهم شتِّت شملهم وفرِّق جمعهم، اللهم أنزل عليهم بأسك ورجزك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم إنهم قد طغوا وبغوا فأَخُذْهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم إنهم قد اعتدوا علىٰ عبادك المسلمين فانتقم منهم يا رب العالمين.

اللهم أنجِ إخواننا المستضعفين من المسلمين في فلسطين، اللهم فرج ما نزل بهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أمِّن خائفهم واربط علىٰ قلوبهم وأنزل السكينة عليهم.

اللهم أيِّدهم بنصرك أنت نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علىٰ المرسلين والحمد لله رب العالمين.

١٩ / ربيع الآخر/ ١٤٤٥هجرية

الفهرس

من فضائل الأقصىٰ وبعض الدروس والعبر..... ٤

عز المسلمين في تمسكهم بالدين.....١٩

كيف ننصر الأقصىٰ؟ ٣٢

الفهرس ٤٧

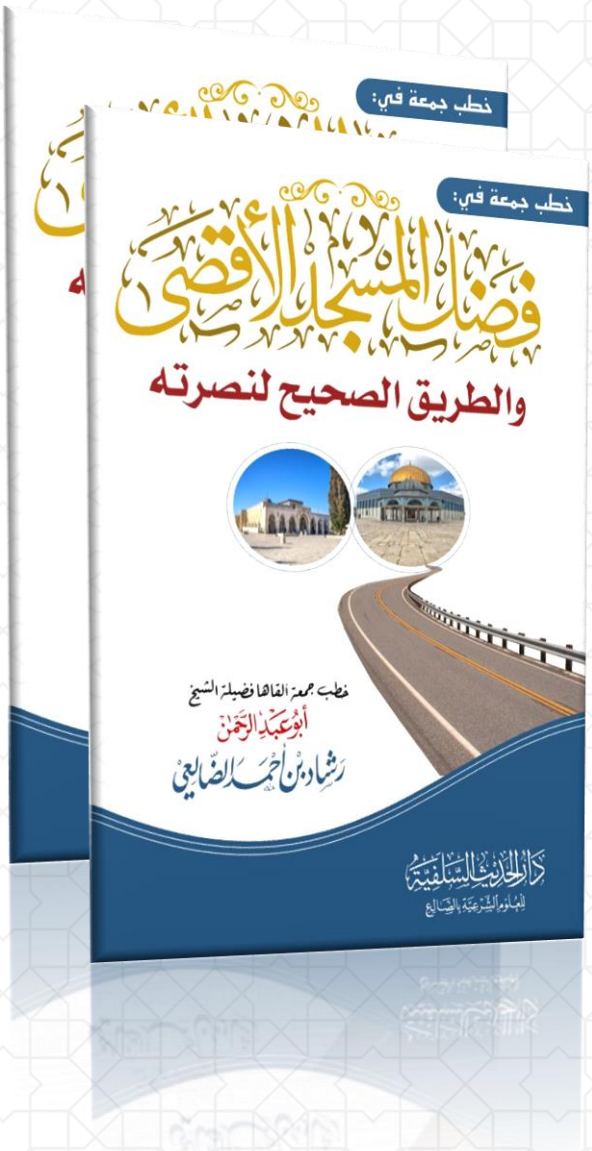

دار الحديث السلفية
للعلوم الشرعية بالصالع